أسرار الحروف القرآنية
والأسماء الإلهيـــة

للعلامة الإمام السراج الطوسى

قال الشيخ الإمام : يقال . إن جميع ما أدركته العلوم ، وألحقته الفهوم ، ما عبر عنه ، وما أشير إليه ، مستنبط من حرفين من أول كتاب الله تعالى ، وهو قوله : « بسم الله ، والحمد لله » لأن معناه بالله ولله ، والاشارة فى ذلك أن جميع ما أحاط به علوم الخلق وأدركته فهومهم . فليست هى قائمة بذواتها ، وإنما هى بالله ولله .

وقيل للشبلى رحمه الله ، ما هى الإشارة فى الباء من « بسم الله » ؟ فقال : أى بالله قامت الأرواح ، والأجساد ، والحركات لا بذواتها .

وقيل لأبى العباس بن عطاء رحمه الله ، إلى ماذا سكنت قلوب العارفين ؟ فقال : لى أول حرف من كتابه وهو الباء من : بسم الله الرحمن الرحيم : فإن معناه أن بالله ظهرت الأشياء . وبه فنيت ، وبتجليه حسنت ، وباستتاره قبحت وسمجت ، لأن فى اسمه « الله » هيبته وكبرياءه ، وفى اسمه « الرحمن » محبته ومودته ، وفى اسمه « الرحيم » عونه ونصره .

فسبحان من فرق بين هذه المعانى فى لطائفها بهذه الأسماء فى غوامضها ! ! .

قال الشيخ الإمام : معنى قوله : بتجليه حسنت . يعنى بقبوله لها ، وبذا سميت الحسنة حسنة ، لأنه قبلها ، ولو لم يقبلها ما سميت الحسنة حسنة ، ومعنى قوله : باستتاره قبحت : يعنى برده لها ، وبذلك سميت السيئة سيئة ، ولولا ذلك لما سميت سيئة .

وقال أبو بكر الواسطى رحمه الله : كل اسم من أسماء الله تعالى يتخلق به إلا اسمه « الله » واسمه الرحمن لأنهما للتعلق دون التخلق ، وكذلك الصمدية ممتنعة عن الإدراك والإحاطة ، قال الله تعالى : « ولا يحيطون به علما » .

وقد قيل أيضا : إن اسم الله الأعظم هو : الله : لأنه إذا ذهب عنه الألف يبقى : لله . وإن ذهب عنه اللام يبقى : له : فلم تذهب الإشارة ، وإن ذهب عنه اللام الآخر فيبقى : هاء : وجميع الأسرار فى الهاء ، لأن معناه : هو : وجميع أسماء الله تعالى إذا ذهب عنه حرف واحد يذهب المعنى ولم يبق فيه موضع الإشارة ، ولا تحمل العبارة ، فمن أجل ذلك لا يسمى به غير الله تعالى

وعن سهل بن عبد الله التسترى أنه قال : الألف أول الحروف وأعظم الحروف وهو الإشارة فى الألف ، أى : الله الذى ألف بين الأشياء ، وانفرد عن الأشياء

وقال أبو سعيد الخراز : إذا كان العبد مجموعا على الله تعالى لا ينصرف منه جارحة إلى غير الله عز وجل ، فعندها تقع له حقائق الفهم عند تلاوة كتاب الله عز وجل الذى ليس مع الخلق .

وقال أبو سعيد : كلما بدا حرف من الأحرف من كتاب الله عز وجل على قدر قربك وحضورك عنده فله مشرب وفهم غير مخرج الفهم الآخر ، إذا سمعت بقوله « ألم ذلك » فللألف علم يظهر فى الفهم غير ما يظهر للام ، وعلى قدر المحبة وصفاء الذكر ووجوب القرب يقع التفاوت فى الفهم .

قال أبو سليمان الدارانى : ربما جاءت الآية خمس ليال فلولا أنى أترك الفكر فيها ما جزتها أبدا ، وربما جاءت الآية من القرآن فيطير معها العقل : فسبحان الذى يرده بعد ذلك .

وقال وهب بن الورد : نظرنا فى هذه الأحاديث والآداب فلم نجد شيئا أرق لهذه القلوب ولا أسد استجلابا للحزن من تلاوة القرآن وتدبره ؟